

من أجل ثقافة شيعية أصيلة

شرح

الزيارة الجامعة الكبيرة

عبد الحليم الغزي

منشورات موقع زهرايئون

شرح الزيارة الجامعة الكبيرة

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودة الفضائية

في ثلاثين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءً من تاريخ: 2010 / 06 / 10

يا زهراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ أَلِ اللَّهِ

وَاللَّعْنُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ وَأَعْدَاءِ شِيَعَتِهِمْ أَعْدَاءِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ لِقَاءِ اللَّهِ

الحلقة الأولى

مقدمة أولى لبيان معاني الزيارة الجامعة

السلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته، الحلقة الأولى من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، الحلقة الأولى من برنامجنا هذا هي مقدمة أولى لبيان معاني هذه الزيارة الشريفة التي جاءتنا مرويةً عن إمامنا العاشر أبي الحسن الهادي صلوات الله وسلامه عليه، هناك عدّة مَطَالِبٍ أوْدُ الإشارة إليها بِمَثَابَةِ مُقَدِّمَةِ أُولَى لِلشروع في بيان مضامين هذه الزيارة الشريفة، هناك عدّة نقاط أريد الإشارة إليها:

النقطة الأولى:

أتحدث فيها عن الباعث لهذا البرنامج وعن السبب في الحديث عن بيان مضامين الزيارة الجامعة الكبيرة، لا أريد أن أدبج العبارات وأن أُطيل في الكلام لكنّها الحقيقة، هذا البرنامج هو اقتناصٌ وقتٍ وسرقةٌ من هذا الزمان الذي يضيع ضياعاً، تمرُّ السنون وتمرُّ الشهور وتمرُّ الأيام والليالي ووقتنا يضيع هدرًا ما بين تفاهات النفس ومشاكل الحياة اليومية التي لا تعودُ بكثير فائدةٍ على عاقبة الإنسان في هذه الحياة، ما بين الغفلة وما بين المشاغل والشواغل التي يضيع فيها الإنسان ويضيع فيها العمر، هذا البرنامج اقتناصٌ شيءٍ من الوقت، وكما قلتُ قبل قليل سرقةٌ من هذا الوقت الذي يضيع هدرًا، لا أبتغي منها شيئاً إنْها قطعةٌ من الوقت يدور فيها الحديث عن مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ كي تتطهر هذه القلوب وكي تتطهر هذه الألسن والحديث عن نفسي أولاً قبل غيري، ساعةٌ اقتنصتها للحديث عن آل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كي أُطهر قلبي أُطهر لساني فَهُمْ الطهور الأعظم، هُمْ الطهور الأعظم في هذه الحياة، وهُمْ الطهور الأعظم في الحياة الأخرى، شيءٌ من وقت نُزِينُهُ بذكر مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا أجد أجمل من هذا النص الشريف من الزيارة الجامعة الكبيرة لذا كان هذا البرنامج الزيارة الجامعة الكبيرة، هذه النقطة الأولى التي أحببت أن أشير إليها.

وهناك نقاطٌ أخرى سأتناولها في طوايا هذه الحلقة، قبل أن أبدأ بقراءة النص، بقراءة الرواية التي وردت عن إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه أشير إلى مصادر هذه الزيارة الشريفة، الزيارة التي سنقرؤها من مفاتيح الجنان لشيخنا المحدّث القمي رضوان الله تعالى عليه، لكنَّ الشيخ القمي من أين ينقلها؟

إنَّما أقرأها من مفاتيح الجنان باعتبار أن هذا الكتاب متوفَّر في أكثر بيوت مُحَيِّ أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الزيارة جاءت مرويةً في أهم مصادرنا الحديثية، قبل أن أشير إلى مصادر الزيارة الجامعة الكبيرة بنحوٍ خاصٍ أشير إلى هذه القضية:

أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حَدَّثونا وَعَلَّمونا وأخبرونا وكشفوا لنا عن كثيرٍ من الحقائق، حديثهم الشريف رواه أصحابهم الأجلاء، وقد جَمَعَ أصحابُ الأئمة من حديث أهل البيت أربعمئة كتاب عُرفت بين علمائنا وبين فقهاءنا وبين محدثينا بالأصول الأربعمئة، هناك أربعمئة كتاب نقل فيها أصحاب الأئمة أحاديث الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكانت هذه الكتب تُكتب وتُجمع وتُنقح بإشرافٍ من الأئمة والروايات عندنا على سبيل المثال مثلاً: إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه أمر أصحابه بأن يجمعوا له جميع ما كتبوا، فجاءوا بكتبهم، وأشرف عليها وتَفَحَّها ورفع ما فيها من اشتباهات أو من أحاديث حَاوَلَ البعض أن يدسها من أصحاب المُغيرة بن سعيد وغير المُغيرة بن سعيد من الذين أرادوا أن يضعوا أحاديث الغلو والزندقة في كتب أصحاب إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه، وكذلك إمامنا الرضا صلوات الله وسلامه عليه أمر أصحابه بأن يجمعوا له هذه الكتب وأعاد تنقيحها والنظر فيها، وكذلك في زمان إمامنا الجواد، وهكذا كان أئمتنا يتابعون هذه الكتب التي عُرفت بالأصول الأربعمئة.

لذلك هنالك رواية جميلة في الكافي الشريف وهذا هو الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف في باب العلم وفي باب رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة والتمسك بالكتب، الحديث الخامس عشر: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ الثَّانِي عَلَيْهِ السَّلَامُ: - يعني إمامنا الجواد صلوات الله وسلامه عليه، حين يُقال أبو جعفر الثاني يعني جواد الأئمة فأبو جعفر الأول هو باقر العترة الطاهرة صلوات الله وسلامه عليه، مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ يَقُولُ لِإِمَامِنَا الْجَوَادِ: - جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنَّ مَشَايخَنَا رَوَوْا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ - يعني عن أبي جعفر الأول باقر العترة - وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَكَانَتْ التَّقِيَّةُ شَدِيدَةً - أشد في زمانهما - فَكَتَمُوا كُتُبَهُمْ وَلَمْ تُرَوَى عَنْهُمْ فَلَمَّا مَاتُوا صَارَتْ الْكُتُبُ إِلَيْنَا - ولم تروى عنهم أي أنه لم ينقل أحدٌ بشكل مباشر عنهم عن هؤلاء الذين جمعوا هذه الكتب - إِنَّ مَشَايخَنَا رَوَوْا عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَكَانَتْ التَّقِيَّةُ شَدِيدَةً فَكَتَمُوا كُتُبَهُمْ وَلَمْ تُرَوَى عَنْهُمْ فَلَمَّا مَاتُوا صَارَتْ الْكُتُبُ إِلَيْنَا - فماذا قال إمامنا الجواد؟ - فَقَالَ: حَدَّثُوا بِهَا فَإِنَّهَا حَقٌّ - كلام الإمام صلوات الله وسلامه عليه هنا حين يقول حدثوا بها فإنها حق أولاً في هذا الكلام دلالة واضحة على أن هذه الكتب هذه الأصول الأربعمئة كلها بتمامها منقولة عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وإن حَدَثَ خللٌ فيها فإن الأئمة قد رَفَعُوهُ، إن حدث خلل بسببٍ دس بعض المُعرضين أو بسبب

الاشتباه من نفس الرواة، الراوي الثقة قد يشتهه في النقل وقد يخلط بين الأحاديث في بعض الأحيان، لذلك الأئمة كما قلت قبل قليل هم أشرفوا على تنقيح هذه الكتب، وكلمة الإمام الجواد هذه: **حَدَّثُوا بِهَا فَإِنَّهَا حَقٌّ**. تُشير إلى أن هذه الكتب هذه الأصول الأربعمئة منقولة بتمامها عن الأئمة ومُنَقَّحة كما قلت قبل قليل، وأيضاً هذه الرواية فيها دلالة على الإجازة في الحديث من هذه الكتب لكل شيعة أهل البيت، هذه إجازة في الحديث وإجازة من أين صادرة؟

صادرة من الإمام المعصوم، من الإمام الجواد صلوات الله وسلامه عليه - **حَدَّثُوا بِهَا فَإِنَّهَا حَقٌّ** - دلالة على حقانية وأحقية وحقيقة الأصول الأربعمئة ودلالة على إجازة الحديث الصادرة عن الإمام الجواد صلوات الله وسلامه عليه، هذه الأصول الأربعمئة بقيت تتناقل بيد أصحابنا، بيد أصحاب الأئمة، بيد رواة الحديث حتى وصلت إلى زمان الغيبة الصغرى، في زمان الغيبة الصغرى بدأ علمائنا الأجلاء يجمعونها في جوامع حديثية، وكان الجامع الحديثي الأول هو: (الكافي) لشيخنا الكليني فقد نقل الكثير من أحاديث الأصول الأربعمئة، ربما نقل أكثر من ثلاثمئة أصل من الأصول الأربعمئة في كتاب الكافي، نقل أكثر أحاديثها، وللمعلوم فإن الشيخ الكليني توفي قبل وفاة النائب الرابع قبل وفاة علي بن محمد السمرى، المعروف أن الشيخ الكليني توفي سنة: 328 للهجرة الشريفة والنائب الرابع علي بن محمد السمرى رضوان الله تعالى عليه توفي سنة: 329 للهجرة، ثم جاء شيخنا الصدوق فَجَمَعَ أيضاً من هذه الأصول الأربعمئة كتبه الشريفة المعروفة وأعلها رتبة بين العلماء كتاب (فقيه من لا يحضره الفقيه) وكذلك بقية كتبه فإنها لا تقل درجةً وفضلاً وعلماً ووثاقاً عن كتاب الفقيه، الشيخ الصدوق له اليد الطولى في حفظ حديث أهل البيت وفي حفظ الأصول الأربعمئة، فقد نقلها في كتبه، في عيون أخبار الرضا، في توحيد الشيخ الصدوق، في كمال الدين وتمام النعمة، في علل الشرائع، في معاني الأخبار، وغير ذلك من الكتب المهمة التي جمعها الشيخ الصدوق من الأصول الأربعمئة، وجاء بعده كذلك شيخنا الطوسي شيخ الطائفة فكان كتاب: (الاستبصار) وكان كتاب (التهذيب) وهذه هي الأصول الأربعة.

لماذا سميت بالأصول الأربعة؟ الكافي للكليني والفقيه للصدوق والتهذيب والاستبصار لشيخ الطائفة الطوسي؟! سميت هذه الكتب بالأصول الأربعة لأنها أساساً نُقلت عن الأصول الأربعمئة، هذه الكتب سُميت بالأصول الأربعة ويُضاف إليها ما جمعه الشيخ الصدوق، والد الشيخ الصدوق، الشيخ المفيد وغير هؤلاء الأعلام من أجلة علماء الطائفة، فكانت هذه الأصول الأربعة وسُميت بالأصول الأربعة لأنها نُقلت عن الأصول الأربعمئة.

إلى أين أريد أن أصل؟ الزيارة الجامعة الكبيرة أين رويت؟ رويت في كتاب (فقيه من لا يحضره الفقيه) أحد الأصول الأربعة المنقولة عن الأصول الأربعمئة التي جُمعت فيها أحاديث الأئمة ونُفِّحت هذه الكتب

بإشراف الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأمرنا الإمام الجواد قبل قليل كما في رواية الكافي الشريف قال حَدَّثُوا بِهَا فَإِنَّمَا حَقَّ، الزيارة الجامعة الموجودة في مفاتيح الجنان رواها شيخنا الصدوق في كتابه الفقيه وهذا هو الجزء الثاني من كتاب الشيخ الصدوق رواها في صفحة: 609 تحت عنوان زيارة جامعة لجميع الأئمة عليهم السلام، والمُحَدَّثُ الثُّمِّي رضوان الله تعالى عليه ينقل الزيارة الجامعة من كتاب الفقيه لشيخنا الصدوق رضوان الله تعالى عليه، ورواها أيضاً شيخنا الصدوق في كتاب آخر من كتبه المُهَمَّمة وهو كتاب (عيون أخبار الرضا)، هذا هو الجزء الأول من كتاب عيون أخبار الرضا، أيضاً رواها شيخنا الصدوق في صفحة: 305 تحت عنوان زيارة أخرى جامعة للرضا علي بن موسى عليه السلام، يعني يُزار بها الإمام الرضا ولجميع الأئمة عليهم السلام ورواها بسنده وبكل تفاصيلها التي جاءت مذكورة في مفاتيح الجنان، فهذا مصدر ثانٍ من مصادر الشيخ الصدوق، رواها في الفقيه وهو أحد الأصول الأربعة المنقولة عن الأصول الأربعمئة، ورواها في عيون أخبار الرضا وكل رواياته منقولة عن الأصول الأربعمئة.

ورواها شيخنا الطوسي في (تهذيب الأحكام) أحد الأصول الأربعة المنقولة عن الأصول الأربعمئة التي قال عنها جواد الأئمة حَدَّثُوا بِهَا فَإِنَّمَا حَقَّ، أيضاً هذا هو الجزء السادس من تهذيب الأحكام لشيخ الطائفة الطوسي في صفحة: 107 تحت عنوان: زيارة جامعة لجميع المشاهد، يعني مشاهد الأئمة على أصحابها السلام، وذكر الزيارة الشريفة كما رواها شيخنا الصدوق بالتمام والكمال، ثم بعد ذلك المُحَدَّثُونَ وعلماء الحديث والذين جَمَعُوا الزيارات والأدعية ذكروا هذه الزيارة الجامعة الكبيرة في الجوامع الحديثية المعروفة وفي كتب المزارات وعلى سبيل المثال مثلاً: (بحار الأنوار) في الجزء التاسع والتسعين، بحار الأنوار بحسب الطبعة المعروفة هو يشتمل على 110 جزء، هذا هو الجزء التاسع والتسعون من بحار الأنوار، الشيخ المجلسي رضوان الله تعالى عليه، باب الزيارات الجامعة، ذكر في هذا الباب مجموعة من الزيارات الجامعة لأئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في صفحة: 127، الحديث الرابع، ذكر فيه الزيارة الجامعة الكبيرة التي نَحْنُ بصدددها، وإنما جئتُ ببحار الأنوار كمثال عن الجوامع الحديثية المتأخرة وإلا الجوامع الحديثية الأصلية أشرتُ إليها مثل الفقيه ومثل تهذيب الأحكام وما رواه الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا، أنا هنا لا أريد أن استقصي المصادر الروائية والمصادر الحديثية التي نَقَلت الزيارة الجامعة الكبيرة، يكفي أن أقول أن الشيخ الصدوق رواها وذكر هذه الرواية في كتابه الفقيه.

ولا غرابة أن نجد من علماء السُنَّة من ينقل هذه الزيارة الجامعة بكل تفاصيلها، وهذا هو الجزء الثاني من كتاب فرائد السمطين لِلْمُحَدَّثِ إبراهيم الجويني الخراساني والذي توفي في سنة: 722 للهجرة، كان في خراسان وتوفي في خراسان وقصة إسلام السلطان المَغُولِي غازان معروفة كانت على يديه، أسلم السلطان المَغُولِي غازان على يدي هذا المُحَدَّثِ السُّنِّي الكبير المُحَدَّثِ إبراهيم الجويني، هذا هو كتاب فرائد

السمطين، في الجزء الثاني هذه الطبعة طبعة دار الحبيب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة بتحقيق العلامة الشيخ مُحَمَّد باقر المحمودي، صفحة: 179 في العنوان: زيارة الجامعة الكبيرة التي يُزارُ بها كلُّ واحدٍ من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وينقل هذه الزيارة من طريق الحاكم، المراد من الحاكم الحاكم النيشابوري كما يبدو، قال الحاكم، يعني الحاكم النيشابوري، ويُشير إلى السند وهو نفسُ السند الذي جاء مذكوراً في كتاب الفقيه لشيخنا الصدوق رضوان الله تعالى عليه، والزيارة موجودة بتمامها وبكل ألفاظها في فرائد السمطين وهو من كتب أهل السنة.

أنا هنا لا أريد الحديث عن توثيق الزيارة الجامعة الكبيرة، الزيارة الجامعة الكبيرة توثقني لا أوثقها، الزيارة الجامعة الكبيرة من النصوص المعروفة الواضحة والتي وُضِعَ فيها إمامنا الهادي جُلَّ المعاني وأكمل المعاني وأمثلة المعاني وهذا ما سيتضح لنا من خلال شرحها وبيانها.

أنا قلت بأنني أوقفت الحديث في كتاب الكافي الشريف، في يوم الخميس كان من المعتاد أن يكون لي برنامج في فناء الكافي الشريف وكانت الحلقات التي مرت من هذا البرنامج تدورُ حول أحاديث الحُجَّة، حول الروايات التي جاءت مرويةً في كتاب الحُجَّة من كتاب الكافي الشريف، لكنني أوقفتُ الحديث في شرح هذه الروايات وقلت في مستقبل الأيام سأتناول باباً آخر إن شاء الله تعالى من أبواب الكافي الشريف، أوقفتُ ذلك لأنني أردتُ الشروع في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة وجميع المضامين الموجودة في الكافي الشريف هي موجودة في الزيارة الجامعة الكبيرة، لذلك لا نحتاجُ للبحث في سندٍ أو للكلام عن توثيق هذه الزيارة، مضامين هذه الزيارة الشريفة موجودة في الكافي وسترون من خلال شرح هذه الزيارة أن مضامينها موجودة في الكافي الشريف وفي أمهات كتبنا الحديثية المنقولة عن أئمتنا المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

هناك مسألة أوْدُ الإشارة إليها قبل أن أنتقل إلى نقطةٍ أخرى، بخصوص إمامنا الهادي الذي جاءت عنه هذه الزيارة، إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه وردت عنه زيارتان مهمتان: الزيارة التي بين أيدينا الزيارة الجامعة الكبيرة هكذا عُرفت، وهناك زيارة ثانية، الزيارة الجامعة الكبيرة يُزارُ بها كل الأئمة يمكن أن نزورهم جميعاً في زيارةٍ واحدة ويمكن أن نزورهم واحداً واحداً، يمكن أن نزور أئمتنا بهذه الزيارة جميعاً نخطبهم جميعاً ويمكن أن نزور بها أئمتنا واحداً واحداً، لكن الزيارة الجامعة الكبيرة بالدرجة الأولى هي في مخاطبة سيد الأوصياء، وبالدرجة الثانية هي في مخاطبة أبنائه المعصومين، لذلك في الزيارة هناك مخاطبة لسيد الأوصياء: **وَإِلَى أَخِيكَ**. ثم هناك مخاطبة ثانية: **وَإِلَى جَدِّكُمْ**. وسنصل في الكلام إلى هذه العبائر إذا تسلسلنا في نص الزيارة الشريفة، الزيارة الجامعة الكبيرة في أصلها لعليّ صلوات الله وسلامه عليه ومن بعد عليّ لأبنائه المعصومين وفي يومنا هذا لإمام زماننا الحُجَّة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه، هذه الزيارة الأولى زيارة

من عليّ لعليّ، من عليّ الهادي لعليّ المرتضى ولولد عليّ المرتضى.

الزيارة الثانية التي جاءت مرويةً عن هادي العترة هي زيارةً لعليّ بنحو الخصوص وهي من أهم الزيارات العلوية، هذه الزيارة موجودة في مفاتيح الجنان وهي زيارة الأمير يوم الغدير هذه هي أهم زيارات سيد الأوصياء، وهذه الزيارة تتعاقب في كثيرٍ من تفاصيل جهاتها مع الزيارة الجامعة الكبيرة، فإمامنا الهادي أوصل إلينا زيارة سيد الأوصياء في يوم الغدير وأوصل إلينا الزيارة الجامعة الكبيرة فأحببت أن ألفت نظر إخواني وأخواتي المؤمنين والمؤمنات إلى هذه القضية أن زيارة الأمير في يوم الغدير المذكورة في مفاتيح الجنان وهي زيارةً طويلةً مبسوطه تتحدث عن الجانب العقائدي التاريخي، أمّا الزيارة الجامعة الكبيرة تتحدث عن الجانب العقائدي المعرفي وكلاهما لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأننا إذا أردنا أن نُطبّق الجانب العقائدي المعرفي فإننا سنحتاج إلى التأريخ، لذلك هاتان الزيارتان إحداهما تُكَمِّلُ الأخرى وكلاهما مرويتان عن هادي العترة الطاهرة، وقلْتُ بأن الزيارة الجامعة الكبيرة بالدرجة الأولى لسيد الأوصياء وبعد ذلك للأئمة من بعده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهناك حديثٌ عن الجانب المعرفي العقائدي وهنا في زيارة يوم الغدير حديثٌ عن الجانب التاريخي العقائدي، وأتمنى أن يأتي يومٌ فنتناول هذه الزيارة أيضاً بالشرح والبيان فهي من أهم الزيارات العلوية لسيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، هذه المسألة التي أحببت الإشارة إليها وأحببت توضيحها لإخواني وأخواتي من مُحبّي أهل البيت ولأبنائي وبناتي من مُحبّي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أبدأ بقراءة السطور الأولى من رواية الزيارة الجامعة الكبيرة كما هي في مفاتيح الجنان والتي نقلها عن المصادر التي أشرت إليها قبل قليل.

موسى بن عبد الله النخعي يقول للإمام الهادي صلوات الله وسلامه عليه: **عَلَّمَنِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَوْلًا أَقُولُهُ بَلِيغًا كَامِلًا إِذَا زُرْتُ وَاحِدًا مِنْكُمْ - السائل وهو النخعي يسأل إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه - عَلَّمَنِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَوْلًا بَلِيغًا كَامِلًا إِذَا زُرْتُ وَاحِدًا مِنْكُمْ -** قطعاً الأولوية لسيد الأوصياء، سيد الأوصياء له الأولوية ثم للأئمة من بعده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، والخصوصية في هذا الزمان لإمام زماننا، الروايات تقول: **إِنَّ لِكُلِّ إِمَامٍ عَهْدٌ فِي عُنُقِ شِيعَتِهِ - لكل إمام عهدٌ في عنق شيعته، فإمامنا له عهدٌ في أعناقنا، نحن شيعته ونحن عبيده ونحن عبيده، ورضوان الله تعالى على الشيخ الحر العاملي:**

وَإِنِّي لَهُ عَبْدٌ وَعَبْدٌ لِعَبْدِهِ وَحَاشَاهُ أَنْ يَنْسِيَ غَدًا عَبْدَهُ الْحُرَّ

إِنَّ لِكُلِّ إِمَامٍ عَهْدٌ فِي عُنُقِ شِيعَتِهِ - هكذا تقول الرواية الشريفة - **وَمِنْ تَمَامِ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ زيارته -** إن لكل إمام هناك عهد في أعناق شيعته ومن تمام الوفاء بالعهد زيارته، الزيارة الجامعة الكبيرة زيارةً لعليّ العلّاء

بالدرجة الأولى وبالدرجة الثانية لأبنائه المعصومين وبالدرجة الخاصة والخصيصة والمخصوصة في هذا الوقت هي لإمام زماننا الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه الطاهرين، ونحن أساساً إنما دخلنا من هذا الباب من أي باب؟

اللَّهُمَّ عَرَّفْنِي حُجَّتَكَ - نحن هنا في هذا البرنامج إنما جئنا وفتحنا هذا الباب وطرقنا هذا الباب - اللَّهُمَّ عَرَّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي، اللَّهُمَّ لَا تُمَتِّتْ جَاهِلِيَّةً - لماذا؟ فإن من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية - اللَّهُمَّ عَرَّفْنِي حُجَّتَكَ فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعَرِّفْنِي حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَنْ دِينِي، اللَّهُمَّ لَا تُمَتِّتْ جَاهِلِيَّةً وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي - والهدى على أعتاب فناء رحمة وجود وفضل إمام زماننا صلوات الله وسلامه عليه، الهدى والإسلام والإيمان والحقيقة هناك في ذلك الفناء الطاهر في فناء ابن نرجس الطاهرة في فناء الحجة بن الحسن صلوات الله وسلامه عليه - عَلَّمْنِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ - وإن لم أتعلم منك يا ابن رسول الله فممن أتعلم؟ - عَلَّمْنِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَوْلًا أَقُولُهُ بَلِيغًا كَامِلًا إِذَا زُرْتُ وَاحِدًا مِنْكُمْ - إذا نَحْنُ أَمَامَ قَوْلٍ بَلِيغٍ كَامِلٍ، لأن الإمام أجابه مباشرة، السائل يسأل - عَلَّمْنِي يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ قَوْلًا أَقُولُهُ بَلِيغًا كَامِلًا إِذَا زُرْتُ وَاحِدًا مِنْكُمْ - مباشرة من دون أي رد، من دون أي نقاش، مباشرة - فقال: إِذَا صِرْتَ إِلَى الْبَابِ فَقِفْ - وتستمر الزيارة، يعني هذا القول هو القول البليغ الكامل، نقوله إذا زرنا واحداً منهم.

لماذا نزرهم؟ فهو شيء من الوفاء بعهد الإمامة والولاية، وستحدث عن الزيارة وعن مضامينها فيما يأتي إن شاء الله من حلقات هذا البرنامج، أتحدث عن معنى الزيارة بشكل خاص عن معنى الزيارة ما المراد من الزيارة وما هو الهدف من الزيارة؟ وأتحدث عن مضامين الزيارة الجامعة الكبيرة، القول إذاً قول بليغ كامل، أما كون هذا القول قولاً كاملاً فذلك يعني إن تمام أصول العقيدة التي يجب علينا أن نعتقد بها وأن نصل إلى معرفتها كل ذلك موجود في هذا النص وإلا كيف يكون قولاً كاملاً!! القول هو الكلام الذي له دلالة، له معنى، حينما يأتي الإنسان بعدة ألفاظ مختلفة لا دلالة لها لا معنى لها لا يقال لهذه الألفاظ قول، القول يعني المراد مجموعة الكلمات، مجموعة الجمل، مجموعة العبارات، مجموعة المقاطع الحديثية والكلامية التي تدل على معنى واضح وجلي يقال له قول، يعني هناك معنى يُستفاد من القول وإلا إذا أتينا بمجموعة من الألفاظ مجموعة من الكلمات مبعثرة لا يقال لهذه الكلمات المبعثرة قول، يعني الآن لو أتلفظ بكلمات مبعثرة لا يوجد رابط معنوي بين هذه الألفاظ لا يقال لهذه الألفاظ قول، القول هو الكلام المفيد، الكلام الذي يعطينا معنى مفيداً، فكلمة القول هي بنفسها دالة على المعنى المفيد، حينما توصف بالكمال، قول كامل يعني أن تمام المعنى موجود في هذا القول.

نحن حينما نزور الأئمة ونخاطبهم فقطعاً في الزيارة سوف نخاطبهم بما يليقُ مع مقاماتهم الشريفة، فحينما يكون هذا القول قولٌ كامل يعني أنّ تمام أصول العقيدة وتمام أصول المعرفة التي يجبُ علينا أن نعتقد بها وأن ندركها وأن نصل إليها وأن نتدبر فيها وأن يكون مدارُ فكرنا حولها كلُّ ذلك موجودٌ في هذا النص، وإلا كيف يكون قولاً كاملاً؟! القول الكامل القول المشتمل على هذه المعاني، وكما يقول المَنَاطِقَةُ القول الكامل يمكن أن أصفه بقول المَنَاطِقَةُ هو القول الجامعُ المانع، القول الكامل يمكن أن أصفه بما يقول المَنَاطِقَةُ والفلاسفة بأنه قولٌ جامعٌ مانع، فهو جامعٌ لكل مقامات وأوصاف وحالات الأئمة، ومانعٌ لأن يدخل معهم صلوات الله عليهم أن يدخل غيرهم معهم في هذه الأوصاف، فهذا القول قولٌ جامعٌ لهم ومانعٌ لأغيارهم، قولٌ كامل، قولٌ جامعٌ ومحيطٌ ومُلم بأوصافهم وحالاتهم ومقاماتهم العُلوية.

ثم هو قولٌ بليغ، هو قولٌ بليغٌ وكامل، كاملٌ وبليغ، والقول البليغ القول الذي يشتملُ على أدق المعاني، يعني الكلامُ البليغ هو الكلام الذي لا زيادات فيه ولا نواقص فيه، يعني كل عبارة من هذه العبارات دالة على نفس المعنى المراد منها من دون زيادات ومن دون نواقص هذا هو القول البليغ، فما بالك إذا كانت هذه البلاغة من عليّ بن مُحَمَّدٍ الهادي.

البليغ، البلاغة في كلام العرب، الإنسان حينما يكون بليغاً فسيكون كلامه محسوباً في ألفاظه وفي معانيه هو هذا البليغ، البليغ الذي لا يلفظ الكلام إلا أن يكون قد أعدَّ واستعدَّ لألفاظه ولمعانيه، فألفاظه محسوبة ومعانيه محسوبة، لا يطلق الكلام هكذا على عواهنه من دون تدبر من دون تفكر ومن دون حساب، البليغ هو الذي إذا تَلَفَظ تَلَفَظ على أساس حسابٍ وكتاب، هذا البليغ من عامة الناس أنا وأنت إذا كنا من البلغاء، فإذا كانت البلاغة من عليّ وأبن عليّ!! هذا قولٌ بليغٌ كاملٌ من عليّ بن عليّ، من عليّ الهادي بن عليّ المرتضى صلوات الله وسلامه عليهما وآلهما الأطيبين الأطهرين، فهذا القول البليغ هو القول الذي لا زيادات فيه ولا نواقص فيه، لا توجد زيادات ولا نواقص لأنه قولٌ بليغ، القول البليغ القول الذي تكون ألفاظه كلماته محسوبة وكذلك دلالاته ومضامينه ومعانيه وفحوايه محسوبة ومدروسة، ويكون الكلام فيه مُرتَباً على أساس منهج، لا هكذا يُطلق الكلام من دون منهج، من دون طريق، من دون أساس، ومن هنا جاءت هذه الزيارة الشريفة، جاءت مُحْكَمَةً، مُحْكَمَةً في بنيتها الأدبية ومُحْكَمَةً في بنيتها المعرفية، الزيارة الجامعة الكبيرة فيها ميزتان وستتضح هاتان الميزتان من خلال الحلقات القادمة كيف أنّ هذه الزيارة الجامعة مُحْكَمَةٌ أدبياً ومُحْكَمَةٌ فكرياً، هناك إحكام أدبي في هذه الزيارة في التعبير، إحكام أدبي بكل ما في هذه الكلمة من معنى، وهناك إحكامٌ معرفي، إحكامٌ عقائدي بكل ما في هذه الكلمة من معنى، وستتضح لنا الصورة إن شاء الله من خلال حلقات هذا البرنامج.

لن أستمّر في قراءة عبارات الزيارة الشريفة ولكنني أقف هنا لأشير إلى قضيةٍ مهمة لا بد أن يُلتفت إليها،

القضية المهمة التي أريد الإشارة إليها المضامين الموجودة في الزيارة الجامعة الكبيرة تعتمد على ركني العقيدة وعلى أسس المعرفة وهما التوحيد والولاية، حين أقول الولاية، الولاية أعمّ فهي تعمّ النبوة والإمامة، الزيارة الجامعة الكبيرة تبني على هذين الأساسين، تبني على أساس التوحيد وعلى أساس الولاية، وكما قلتُ قبل قليل المراد من الولاية بمعناها العام بمعناها الأعمّ النبوة والإمامة وما يتفرع عليهما من موالاة المؤمنين ومن البراءة من أعدائهم، فالولاية للنبي ولآله ولأشياعهم، والبراءة من أعدائهم جميعاً، حين أقول البراءة من أعداء المؤمنين المراد من العداة ليس العداة الشخصي وإنما العداة لأجل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ، لأن المؤمن قد يواجه في حياته أعداء النبي وأعداء أهل البيت عموماً، لأن النبي معصوم ولأن الإمام معصوم فلا توجد هناك عداوات تؤخذ بهذا المنظار أنها عداوات شخصية، العداة مع النبي ومع الإمام المعصوم عداة مع الله مباشرة - وَمَنْ سَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ سَبَّنِي وَمَنْ سَبَّنِي فَقَدْ سَبَّ اللَّهَ - العداة مع النبي مع الإمام المعصوم هو عداة مع الله مباشرة، فاطمة صلوات الله وسلامه عليها رضاءها رضا الله سبحانه وتعالى وسخطها سخط الله سبحانه وتعالى، إذا رضيت رضي الله وإذا غضبت غضب الله سبحانه وتعالى.

فالعداء والمودة مع المعصوم تكون مباشرة مع الله، أمّا مع أوليائهم فإن أوليائهم يواجهون في الحياة نوعين من العداة: هناك قد يكون عداة شخصي لمسائل شخصية لأمر عائليّة هذا لا يدخل في البحث هنا وإنما البحث في هذه المسألة إذا كان العداة مع أشياع النبي وأشياع أهل البيت لأنهم أشياع النبي لأنهم أشياع أهل البيت العداة يأتي من هذه الجهة، إذا كان العداة من هذه الجهة فإننا نبرأ من أعدائهم، ويدخل هنا العداة والولاية والبراءة في بعدها العقائدي، على أي حال، كما قلتُ قبل قليل الزيارة الجامعة الكبيرة مبنية على هذين الأساسين: التوحيد والولاية، ومن خلال شرح الزيارة سيتضح لنا مضمون التوحيد وسيتضح لنا مضمون الولاية بمعناها الأعمّ، وهنا أشير إلى هذه القضية، إلى أي قضية؟ إلى أننا لا بد أن نجعل أساساً وميزاناً لحديثنا في شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، هذا الميزان يشتمل على نقطتين، يشتمل على فرعين، يشتمل على أصليين، قل ما شئت.

الأصل الأول كلُّ كلامٍ، كلُّ حديثٍ، كلُّ فكرةٍ تمسُّ بالتوحيد فهي باطلة، لأن أساس الوجود التوحيد، ولأن أساس الدين التوحيد، ولأن أساس العقيدة التوحيد، فكلُّ كلامٍ يمسُّ هذه العقيدة، ينتقص من هذه العقيدة فهو كلامٌ باطل، من أي جهة صدر، من أي أحد صدر، لأن الأساس الأول في عقيدتنا هو التوحيد، وما غيرُ التوحيد من العقائد فهو يندرج تحت التوحيد، أيُّ عقيدة كانت، وأيُّ معرفة كانت فإنها تندرج تحت التوحيد، هذا الأساس الأول الذي يجب أن يكون سياجاً وحصناً حامياً ومانعاً كما في الحديث، هناك عندنا حديثان رضويان:

كلمة لا آله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي. وحديث رضوي آخر أيضاً:

ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي.

كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي، ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي، أولاً: التوحيد. وثانياً: ولاية أهل البيت ولاية النبي وأهل بيته.

معرفة النبي وأهل بيته، معرفة الولاية، معرفة الولاية لا حدود لها، مقامات أهل البيت لا حدود لها، لكنها دون التوحيد - نزهونا أرباباً تُعبد وقولوا في فضلنا ما شئتم - هكذا قال سيد الأوصياء، هكذا قال أئمتنا نزهونا أرباباً تُعبد، أبعدوننا عن هذه المنزلة وقولوا في فضلنا ما شئتم فإن الباب مفتوح لكم، وإنما صار الباب مفتوحاً لنا لأننا مهما تعمقنا فإننا لن ندرك معشار العشر من فضلهم، ولذلك أصبح الباب مفتوحاً لنا لأننا مهما ذهبنا بعيداً في الفكر فإننا لن نصل إلى شيء من حقيقة مراتبهم ومقاماتهم العلية.

ومن هنا سيكون الضابط، سيكون الأساس، سيكون الميزان، سيكون السياج، سيكون الحصن الذي نتحرك في داخله هما هذان الأساسان: الأصل الأول التوحيد وهو العقيدة الأولى والأخيرة، وغير التوحيد من العقائد وإنما هو يندرج تحت التوحيد، معرفة أهل بيت العصمة، معرفة النبي وآل النبي، معرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ ما دامت دون التوحيد فإن الباب مفتوح فيها، نزهونا أرباباً تُعبد وقولوا في فضلنا ما شئتم، لكن ذلك لا يعني أن نقول قولاً كيفياً، أن نأتي بالكلام من جيوبنا الخاصة ومن حساباتنا الشخصية وأن نُنشئ الكلام هكذا أن نبتدعه ابتداءً من دون أساس، مَرَدُّنا الأول والأخير إلى حديث أهل البيت، إلى الأصول الأربعمائة، أين نجد حديث أهل البيت؟ نجدُه في الأصول الأربعمائة، وهذه الزيارة الجامعة جاءتنا من هناك، جاءتنا من ذلك المنهل العاطر ومن ذلك الغدير المُطَهَّر من غدير حديث أهل البيت، من غدير علي وآل علي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، نحن ننهل من ذلك الغدير وَنَرُدُّ إلى ذلك الغدير ونشرب من ذلك الغدير ونتطهر بذلك الغدير، وضوء عقيدتنا ووضوء ديننا من ذلك الغدير، وضوءنا الحقيقي وضوء الولاية، وضوء الولاية الحقيقي في حياتنا من أين نأتي بمائه؟

نأتي به من ذلك الذي جاء موصوفاً بالطهور الأعظم، والطهور الأعظم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٍ هم الطهور الأعظم، هم الماء الأعظم، هم السر الأعظم، هم الاسم الأعظم، هم الحقيقة الأعظم، هم الكلمة الأعظم، هم الصفة الأعظم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّدٍ، هم السبيل الأعظم، هم الصراط الأقوم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إلى هذه العين نَرُدُّ، إلى هذا الغدير نَرُدُّ، وعن هذا الغدير نصدر، وهنا نشرب من هذا الغدير كي نُطْفئ هذه العُلَّة، عُلَّةُ هذا العطش، وَعُلَّةُ هذا الأوام، وهنا نتطهر، هنا نُسبغ وضوء الحقيقة، كيف نُسبغ وضوء الحقيقة؟ ومن أين؟ من غدير علي وآل علي، وهنا نتعطر من هذا الغدير، ألم يكن عطر رسول الله الماء؟ هكذا تقول الروايات كان عطره الماء، وفي ذلك إشارة من بعيدٍ إلى هذه المضامين التي أشير إليها، ولا أريد الدخول في مثل هذه التلويحات والتلميحات، عطرنا من هذا الغدير من غدير علي وآل

عليّ، وماء شربنا من هذا الغدير، وديننا من هذا الغدير، وما الزيارة الجامعة الكبيرة إلا قَدْخُ مُعَلَى، إلا قَدْخُ مُعَلَى قد ملاءهُ لنا عليُّ بن مُحَمَّد الهادي من ذلك الغدير، من تلکم الروضة الطاهرة، من تلکم العيون النقية، هذه الزيارة الجامعة الكبيرة قَدْخُ نشربُ منه نَمِرَ حَبَّةِ عَلِيٍّ وَآلِ عَلِيٍّ وسلسبيل ولاية عليٍّ وآل عليٍّ، هذه الزيارة الجامعة الكبيرة من عمق حديث مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، نبقي نطوفُ حولها، منها بدايتنا وإليها نهايتنا، فإن البداية والنهاية مَنوطةٌ بمعرفة إمام زماننا، وما الزيارة الجامعة الكبيرة إلا لوحَةٌ مزدانَةٌ قد وشَّتها الألوان وقد عَبَّقَتْها المعارف والحقائق، فاضت بها شفاهُ ابن الزهراء، شفاهُ الهادي صلوات الله وسلامه عليه، هذه الكلمات فاضت بها وجادت بها شفاهُ عليٍّ الهادي صلوات الله وسلامه عليه، وكلامي كما قلت سيكون في هذا الحصن في حصن لا آله إلا الله وفي حصن ولاية عليٍّ بن أبي طالب فإنهما الأمان الذي من دخل فيه نجأ، كلمة لا آله إلا الله حصني، قال الله تعالى:

كلمة لا آله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي، ولاية عليٍّ بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي.

كلامنا سيكون محكوماً على هذا الأساس، وكلامنا سيكون محكوماً بحديث أهل البيت فإننا نأخذ منهم وإننا نرجع إليهم في كل شيء وتلكم هي النجاة الحقيقية، أنا قلت في أول هذه الحلقة بأن هذا البرنامج وحقُّ الحسين لا ابتغي منه شيئاً إنما هي ساعةٌ اقتنصها من هذا العمر الذي راح هدراً في التفاهات وفي الشواغل التي لا قيمة لها، ساعةٌ أسرقها من هذا الوقت المُر ومن هذا الزمان الذي أثقلنا بكلِّكليه وكلاكله، هذه الساعة اقتنصها اغتالها أسرقها كي أعيشَ في جو مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، كي أتطهَّرَ أولاً وأدفعها هديةً لإخوتي من عُشاق أهل البيت للذين يُطربهم هذا الحديث، هذا الحديث هناك الكثير الذين لا يعجبهم هذا الكلام، وأنا لا أحاطبهم، أنا أحاطب أولئك الذين يُطربهم هذا الكلام، يُطربهم، يطربهم سماعُ حديث مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، أمَّا الذين لا يرغبون بهذا والذين لا تميل قلوبهم ولا تهشُّ أرواحهم ولا تُسعد نفوسهم بمثل هذا الحديث لا علاقة لنا بهم، هذه هديةٌ متواضعةٌ أمُدُّ يدي بها إلى إخواني وأخواتي وأبنائي وبناتي من عُشاق أهل البيت من مُحِبِّي أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، هذا حديثٌ سَمَرٌ، حديثٌ أنقله عن عليٍّ بن مُحَمَّدٍ الهادي وأتقلَّبُ في أفنائه ما بين الكافي وأخواته من كتب الحديث، أسْتَلُّ فيها جُملاً وكلمات وأحاديث تَعَبَّقُ بها هذا الوجود، فاض بها جعفر بن مُحَمَّدٍ في يومٍ من الأيام، وجاد بها علينا عليٌّ بن موسى الرضا في ساعةٍ من الساعات، واستهلَّ بها علينا الحسن العسكري، كلماتٌ عطَّرت حياتنا وأقول حياتنا حياة الذين أحبُّوا مُحَمَّدًا وَآلَ مُحَمَّدٍ لا أعني غيرهم كلماتٌ عطَّرت حياتنا، كلماتٌ أنارت الظلمات في دروب هذا العالم الذي تضغطُ عليه الجهالات وتضغطُ عليه الغفلة وتضغطُ عليه الترهات والتفاهات من كل مكان، هذه الكلمات هي التي أدفعها هديةً فإن أئمتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قالوا:

مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى زيارَتِنَا فَلْيَزِرْ صالِحِي موالينا يُكْتَبْ لَهُ بِذَلِكَ ثوابُ زيارَتِنَا - هذه زيارةٌ لكم أحبّ أهل البيت، إمامنا الكاظم يقول: مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى صَلاتِنَا فَلْيَصِلْ صالِحِي موالينا يُكْتَبْ لَهُ بِذَلِكَ ثوابُ صَلاتِنَا - فما نحن بقادرين أن نزور إمام زماننا وما نحن بقادرين أن نصل إمام زماننا، هذه زيارةٌ لأحبابه وصلةٌ لأحبابه وهذا حديثٌ أقتطفه من ثمار رياض وجنان مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ الياجنة لدا أقف هنا وقفة موجزة أبيّن فيها حقيقةً جاءت في روايات أهل البيت وفي قرآنهم ونحن لا نخرج عن هذين العمودين، نحن إن خرجنا من القرآن دخلنا في حديث أهل البيت، وإن خرجنا من حديث أهل البيت دخلنا في قرآنهم، ملاذنا الآمن هو هذا، إذا أردتم الأمان لدينكم وإذا أردتم الأمان لآخرتكم هما بابان: بابٌ كُتِبَ عليه قرآن آل مُحَمَّدٍ وبابٌ كُتِبَ عليه حديث آل مُحَمَّدٍ، فإذا خرجنا من هذا الباب دخلنا في الباب الثاني، وإذا خرجنا من الباب الثاني دخلنا في الباب الأول، من هنا البداية وأيضاً هنا النهاية، فالبداية والنهاية في نقطة واحدة، في كتابٍ وفي عترة، وكما قلت قبل قليل حديثنا مُسَيِّجٌ بسياح التوحيد أولاً وبسياح الولاية ثانياً.

في برنامج قرآننا وفي أوائل سورة البقرة المباركة مرت علينا هذه الآية وهي الآية السادسة والعشرون ولقد تحدثتُ في بيان جانبٍ من مضمونها، اليوم أيضاً أشير إلى جانبٍ آخر، وهناك جوانبٍ أخرى أتناولها في وقتٍ آخر إن شاء الله تعالى، الآية هي السادسة والعشرون من سورة البقرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ إلى آخر الآية، أنا هنا أريد أن أقرأ نصاً جاء مروياً عن إمامنا الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه بخصوص هذه الآية، أقرأ هذا النص على مسامعكم، النص طويل، وأنا أقتطف منه موطن الحاجة - فقيلاً للباقر عليه السلام: فَإِنَّ بَعْضَ مَنْ يَنْتَحِلُ مَوالاتِكُمْ - ينتحل يعني يعتقد - فقيلاً للباقر عليه السلام: فَإِنَّ بَعْضَ مَنْ يَنْتَحِلُ مَوالاتِكُمْ يَزْعَمُ أَنَّ الْبَعُوضَةَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - طبعاً هناك روايات وأنا لا أريد الدخول في كل التفاصيل، قلت قبل قليل في برنامج قرآننا بينتُ جانباً من معنى الآية واليوم أشير إلى جهةٍ أخرى وهناك جهاتٍ أخرى تأتي على بيانها في وقتٍ آخر إن شاء الله تعالى، وإنما أخذ موطن الحاجة الذي يتعلق بالبرنامج الذي نحن فيه الآن - فقيلاً للباقر عليه السلام: فَإِنَّ بَعْضَ مَنْ يَنْتَحِلُ مَوالاتِكُمْ يَزْعَمُ أَنَّ الْبَعُوضَةَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ - البعوضة التي ذكرت في هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ - يَزْعَمُ أَنَّ الْبَعُوضَةَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّ مَا فَوْقَهَا - الفوق من البعوضة يعني أكبر منها - وهو الذباب مُحَمَّدٌ رسول الله صلى الله عليه وآله - أقرأ الكلام مرةٍ أخرى حتى يكون المعنى واضحاً:

فقيلاً للباقر عليه السلام: فَإِنَّ بَعْضَ مَنْ يَنْتَحِلُ مَوالاتِكُمْ يَزْعَمُ أَنَّ الْبَعُوضَةَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّ مَا

فَوْقَهَا وَهُوَ الدُّبَابُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: سَمِعَ هَؤُلَاءِ شَيْئاً لَمْ يَضَعُوهُ عَلَى وَجْهِهِ - يعني هناك كلام مذكور في هذا الاتجاه لكن هؤلاء ما وضعوا الكلام كما هو، الآن يبين إمامنا الباقر عليه السلام هذا المضمون - فقال الباقر عليه السلام: سَمِعَ هَؤُلَاءِ شَيْئاً لَمْ يَضَعُوهُ عَلَى وَجْهِهِ إِنَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَاعِداً ذَاتَ يَوْمٍ هُوَ وَعَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ سَمِعَ قَائِلاً يَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَسَمِعَ آخَرَ يَقُولُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ عَلِيٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لَا تَقْرَنُوا مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ مُحَمَّدٌ، مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ عَلِيٌّ، إِنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ هِيَ الْقَاهِرَةُ الَّتِي لَا تُسَاوَى وَلَا تُكَافَى وَلَا تُدَانِي - ولا زال الكلام لرسول الله مستمراً - وما مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي اللَّهِ وَفِي قُدْرَتِهِ إِلَّا كَذِبَابَةٌ تَطِيرُ فِي هَذِهِ الْمَسَالِكِ - رسول الله يتكلم عن نفسه بهذا الكلام حين يُقَاسِمُ نَفْسَهُ بِاللَّهِ - وما مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي اللَّهِ وَفِي قُدْرَتِهِ إِلَّا كَذِبَابَةٌ تَطِيرُ فِي هَذِهِ الْمَسَالِكِ الْوَاسِعَةِ، وَمَا عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي اللَّهِ وَفِي قُدْرَتِهِ إِلَّا كَبَعُوضَةٍ فِي جُمْلَةِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ مَعَ أَنْ فَضَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي لَا يَفِي بِهِ فَضْلُهُ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ - قولوا فينا ما شئتم - مع أن فضل الله تعالى على مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي لَا يَفِي بِهِ فَضْلُهُ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ إِلَى آخِرِهِ هَذَا مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي ذِكْرِ الذَّبَابَةِ وَالْبَعُوضَةِ فِي هَذَا الْمَكَانِ - هذا كلام إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه.

نبينا هكذا يقول: وما مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي اللَّهِ وَفِي قُدْرَتِهِ إِلَّا كَذِبَابَةٌ تَطِيرُ فِي هَذِهِ الْمَسَالِكِ الْوَاسِعَةِ، وَمَا عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي اللَّهِ وَفِي قُدْرَتِهِ إِلَّا كَبَعُوضَةٍ فِي جُمْلَةِ هَذِهِ الْمَسَالِكِ مَعَ أَنْ فَضَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي لَا يَفِي بِهِ فَضْلُهُ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ إِلَى آخِرِهِ - وأظن أن المعنى واضح وأن الدلالة بيّنة، هذا حدُّ يبدأ منه الكلام وينتهي عنده الكلام أيضاً.

وحدُّ آخر بيّنه القرآن الكريم جاء في سورة النور المباركة في الآية الخامسة والثلاثين من سور النور المباركة: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - الآية المعروفة بآية النور - ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ، يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ، زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ، يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ، نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ ﴿ - الآية الخامسة والثلاثون من سورة النور الشريفة، وهذه الآية يمكن أن يُقال عنها بأنها أعلى مقامٍ تَحَدَّثَ فيه القرآن من مقامات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فهناك حَدٌّ أشار إليه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّ حَقِيقَةَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ إِذَا قِيسَتْ بِحَقِيقَةِ اللَّهِ فَهِيَ لَا شَيْءَ، وَكُلُّ شَيْءٍ إِذَا قِيسَ بِاللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَهُوَ لَا شَيْءَ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ وكلما تكامل المخلوق صار أكثر فقراً وازداد فقره أكثر، لماذا؟ لأن حاجته تكون أكثر، فلما كان فضل الله الأكمل على رسوله وعلى آل رسول الله كانوا هم الأشد فقراً إلى الله وهذا هو معنى العبودية، لماذا لا تُطلق العبودية بالمعنى الحقيقي الأكمل الأتم إلا على رسول الله؟ وإذا أطلقت على غيره فذلك من باب التجوز والتسامح، العبودية الحقيقية هي عبودية مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ لماذا؟ لأن الله قد أفاض عليهم تمام الفيض، وقد بلغوا أعلى المراتب التي ليس بعدها مرتبة لأي مخلوقٍ من المخلوقات، هم الحقيقة الأولى، هم النور الأول، هم الكلمة الأولى، هم الاسم الأول، هم العقل الأول، هم الصادر الأول، هم الفيض الأول، عَبَّرَ ما شئت من هذه العبارات وانتقي ما أردت أن تنتقي من هذه المصطلحات.

عبارتنا شتى سيدي يا رسول الله، سيدي يا أمير المؤمنين، سيدي يا زهراء، سيدي يا بقية الله، عبارتنا شتى وحُسنك واحد، وحسنكم واحد

عبارتنا شتى وحُسنك واحدٌ وَكُلٌّ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ يَشِيرُ

عبارتنا شتى وحسنكم واحد وَكُلٌّ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ يَشِيرُ

فكلما تكامل المخلوق كلما ازداد فقراً وأهل البيت هم المخلوق الأكمل فهم الأكثر فقراً والأكثر حاجةً لأنهم هم الأكثر عطاءً، لأن الله قد أعطاهم أكثر مما أعطى سائر المخلوقات فكانوا هم الأكثر فقراً إلى الله، هذه الآية تتحدث عن أدق المعاني وعن أعمق المعاني في منزلة مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، في البداية سابين المعاني اللغوية للآية الشريفة، أولاً هذه الآية جاءت في سياق الأمثال القرآنية وأتممتنا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أمرونا أن نتدبر في أمثال القرآن لأن أمثال القرآن توصلنا إلى الحقائق وهذا مَثَلٌ من الأمثال القرآنية بودي لو أطلت الوقوف عند هذه الآية كثيراً، أنا سَابِئٌ جانباً من مضمونها في هذه الحلقة وأتحدث عن جوانب أخرى في مناسباتٍ أخرى إن شاء الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورٌ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هنا الحديث ليس عن نورٍ حسي، الحديث عن نورٍ حقيقي، هناك فارقٌ بين نور

الحس وبين نور الحقيقة، النور الحسي هو الذي يساعدنا على رؤية الأشياء، حين يأتي الظلام ولا ضوء فإننا

لا نرى الأشياء من حولنا، أما حينما يأتي ضوء النهار فإننا نرى الأشياء من حولنا بواسطة هذا الضوء الحسي والذي يُعرِّفه الفلاسفة بأنَّه كاشفٌ عن نفسه وكاشفٌ عن غيره، نحن لا نملك تعريفاً للضوء أو للنور الحسي إلا هذا التعريف، ربما يكون هناك تعريفٌ فيزيائي أنه مجموعة الفوتونات الصادرة من الانشطارات الذرية من الهيدروجين والهليوم في الشمس أو غير ذلك، لكن الحديث عن التعريف الفلسفي، التعريف الفلسفي للضوء وللنور هو الكاشف عن نفسه والكاشف عن غيره، وبقدر ما يكشف عن نفسه يكشف عن غيره هذا هو النور الحسي.

أما النور الحقيقي وهو نور الوجود يمكن أن أُقرب معنى النور الحقيقي بمثال: كلكم يعرف قصة ملكة اليمن بلقيس، وكلكم قرأ في القرآن قصة مجلس سليمان وحين أراد أن يكون عرشها الملكي بين يديه والقصة معروفة، آصف بن برخيا قال له: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك وجاء بالعرش ولا أريد الحوض في هذه القصة لكن فقط أردت أن أخذ منها لقطة ومضة، هناك من المفسرين من قالوا وتحدثوا في كيفية انتقال العرش من اليمن إلى فلسطين، فقالوا إن آصف بن برخيا كانت عنده ولاية على الفيض فقطع الفيض في اليمن فانعدم العرش في اليمن ونقل الفيض إلى فلسطين فأوجد العرش في فلسطين، فكأنه قطع الفيض، مثل ما مثلاً هناك أنبوب وفي هذا الأنبوب يأتي الماء جارياً ينزل في مكان معين فُقطع هذا الماء فُقطع الفيض، فلما فُقطع الفيض هذا الفيض هو هذا النور الحقيقي، أنا كيف تحقق وجودي؟! أو كيف يتحقق وجودي الآن ووجود كل شيء من حولي؟! كيف يتحقق وجودكم أنتم؟ هناك فيضٌ ينزل في كل آن وهذا الآن لا يُقاس بمقياس الزمان، آتات الفيض ما يُعبَّر عنها بالتجليات لا تُقاس بالوحدات الزمنية، هي أدق وأبعد مما وراء الزمان ولا أريد الدخول في هذه التفاصيل، لكن يتحقق وجودي بنزول الفيض، مثل ما هذا الضوء حينما مثلاً الآن نحن في غرفة مظلمة، نحن في غرفة مظلمة وبيدي مصباح، مصباح يدوي كلما وجهته إلى جهة فإنني أرى تلكم الجهة، هذي مجموعة من الكتب وبيدي مصباح صغير وأردت أن أعرف هذا الكتاب فوجهته ضوء المصباح فقرأت أصول الكافي، لَمَّا أزحت الضوء إلى كتابٍ آخر ووضعتُه عليه فقرأت بحار الأنوار، فكأن هذا الضوء هو الذي أوجد الكتاب، الفيض هو الذي أوجدنا، هناك فيض، وهذا الفيض ما دام متصلاً فإننا موجودون، متى انقطع الفيض فإننا نُعدم، ومن هنا هؤلاء الذين قالوا بهذا القول أخذوا هذه الفكرة من هنا بأن آصف بن برخيا كانت له ولاية على الفيض فقطع الفيض في اليمن وأوجدته.

طبعاً في فكر أهل البيت هذا الكلام ليس صحيحاً، فإن آصف جاء بنفس العرش، ولكنني جئت بهذا توضيح لأجل مثال ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ النور الحقيقي وليس النور الحسي، النور الحقيقي الذي

أوجدنا، النور الحسي يكشف عن الأشياء، النور الحقيقي يوجد الأشياء هو هذا الفارق بين النورين، أيضاً النور الحقيقي كاشفٌ عن نفسه وكاشفٌ عن غيره لكن الكاشفية هنا إيجاد وليس الكاشفية إراءة كما في النور الحسي، النور الحسي كاشفٌ عن نفسه وكاشفٌ عن غيره، لكن الكاشفية هنا فقط في الإراءة بواسطة النور الحسي نرى الأشياء، النور الحقيقي كاشفٌ عن نفسه وكاشفٌ عن غيره لكن كاشفية النور الحقيقي هو الإيجاد ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني هذا الوجود إنما هو متحقق بأي شيء؟ متحقق بالنور الحقيقي الصادر من الله سبحانه وتعالى، ليس النور الحسي، النور الحسي إنما هو متحقق بالنور الحقيقي، النور الحسي إنما هو كاشفٌ عن نفسه وكاشفٌ عن غيره بسبب أنه هو موجودٌ بالنور الحقيقي، إذاً أصلاً لا مقارنة بين النور الحقيقي والنور الحسي وإنما جئتُ بالنور الحسي مثلاً كي تتضح صورة ومعنى النور الحقيقي، لأن النور الحسي إنما هو متحققٌ بسبب النور الحقيقي.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إنما تحققت هذه الأشياء وتحقق النور الحسي وتحققت هذه القدرة على الإراءة والكاشفية في النور الحسي بسبب ماذا؟ بسبب النور الحقيقي هذا النور الصادر من الله سبحانه وتعالى ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهذه الكلمة بحاجة إلى شرحٍ كثيرٍ لكنني أكتفي بهذا لأنني لست بصدد شرح هذه الآية وإنما أردتُ فقط أن أستفيد منها فائدة تتعلق بما بين يدي من موضوع الزيارة الجامعة الكبيرة ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ﴾ القرآن هنا يأتينا بمثالٍ لنور الله لهذا النور الساطع في السماوات والأرض ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ المشكاة هي يقولون الكوة غير النافذة، يعني كأن تكون فتحة في الجدار وهذه الفتحة في الجدار فقط كأنها مثل رف يوضع فيها المصباح، يعني هذه الكوة ليس مفتوحة إلى الخارج بحيث يدخل منها الضوء أو تكون مثل النافذة، الكوة مكان يُفتح في الحائط مثل الرفوف، رف، الرف الخاص بوضع المصباح يمكن أن نقول هكذا، ويمكن أن تكون المشكاة أيضاً مثلاً الإطار الذي يُوَطر به المصباح مثلاً في زماننا هذا كأن يكون عندنا ضوء وحول هذا الضوء إطار هذا الإطار يحفظ فيه المصباح وكأن يكون في داخل هذا الإطار شيء من مرايا لزيادة نور المصباح أو للزينة أو لتجميل المصباح، بالنتيجة المشكاة هو المكان أو الحاوية التي تحوي المصباح قد تكون كوة في جدار.

قد تكون مكان على منضدة، قد يكون إطار أو شيء يوضع على المصباح هي هذه المشكاة، المشكاة شيءٌ يحيطُ بالمصباح، المصباح هو نفسه النور، النور المتوهج، قديماً كانوا يصنعون المصابيح من أي شيءٍ؟ من دُبالةٍ وهذه الدُبالة تكون منقوعة في الزيت، في زيت الزيتون مثلاً أو في زيتٍ آخر ﴿المصباحُ في

زُجَاجَةٌ ﴿﴾ وإنما توضع الزجاجاة لأي شيء؟ لتجميل المصباح، للحفاظ على ضوء المصباح، ولزيادة نور المصباح بسبب شفافية هذه الزجاجاة ﴿﴾ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاتٍ فِيهَا مِصْبَاحُ الْمِصْبَاحِ فِي زُجَاجَةِ الزُّجَاجَةِ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴿﴾ الكوكب واضح معناه ﴿﴾ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴿﴾ طبعاً في لغة العرب الكوكب تُطلق على ما يُرى نجماً كبيراً في السماء، أمّا في المصطلحات العلمية الفلكية هناك نجوم وكواكب، النجوم التي تكون مشعة بنفسها مثل الشمس، والكواكب التي لا تكون مشعة بنفسها وإنما هي عاكسة لأضواء غيرها لإشعاعات غيرها مثل القمر مثل الأرض وغير ذلك من الكواكب، الأرض لا يُقال لها نجم لأنها كوكب لأنها تعكس أنوار الشمس، أما الشمس لا يُقال لها كوكب بحسب المصطلحات الفلكية، أما في لغة العرب الكوكب يُقال للنجوم الكبيرة الواضحة ﴿﴾ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴿﴾ الدرّي أُخِذَ من الدُرِّ والدُّرُّ هو هذا الحجر الذي يكون ساطعاً واضحاً منيراً مشرقاً ﴿﴾ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴿﴾ تُشَبَّه الكواكب المشعة والمشرقة والكبيرة الواضحة في السماء في وقت الليل يُقال هذا كوكبٌ دُرّي فكَأَنَّهُ دُرّة ﴿﴾ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوَقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴿﴾ الشجرة المباركة، المباركة هي التي يكونُ عطائها وفيراً هذا أولاً، وفي غاية الكمال، يُقال شجرة مباركة، شجرة لا عيب فيها، يعني الآن إذا كان عندنا مثلاً شجرة وهذه الشجرة مريضة فواكهها ثمارها تكون مُسوسة هل يُقال لهذه الشجرة شجرة مباركة؟!

أو تكون مثلاً ثمارها ذات طعم سيئ طعمها غير طيب، أو مثلاً الثمار الاعتيادية كبيرة وهذه ثمارها صغيرة لا يُقال لها شجرة مباركة، الشجرة المباركة هي الشجرة التي لا عيب فيها، لا نقص فيها، جذع الشجرة، ساق الشجرة، أغصان الشجرة، أوراق الشجرة في غاية الجمال، ثمار الشجرة، الشجرة المباركة هي الشجرة التي لا عيب فيها، لا عيب في جذورها، جذورها تمتص الأملاح والمعادن والمياه بشكل على أحسن وجه، أغصانها وأوراقها، خضرة أوراقها على أكمل وجه، شجرة مباركة شجرة لا عيب فيها لا نقص فيها، لا في ساقها، لا في جذورها، لا في أغصانها، لا في أوراقها، لا في ثمارها ﴿﴾ يُوَقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴿﴾ الشجرة المباركة زيتونة لأن هذا الزيت هو الذي يستعمل في الإضاءة، كانت الناس بأي شيء تُضيء مصابيحها؟ بالزيت ﴿﴾ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴿﴾ ما المراد لا شرقية ولا غربية؟

وصفٌ للشجرة، شجرة الزيتون كلما طال إشراق الشمس عليها كلما كُملت ثمرتها والزيت المستخرج من ثمارها يزداد صفاءً وإشراقاً ﴿﴾ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴿﴾ يعني لا تغيب الشمس عنها صباحاً ولا عصرًا، يعني هي

واقعة في الوسط، لا هي في شرق المكان ولا في غربها، لا هي في شرق المكان فحينما تبدأ الشمس تتجه إلى المغرب تتعد عنها، ولا هي في غرب المكان فحينما تشرق الشمس تكون بعيدة عنها وإنما هي في الوسط في المركز بحيث أن الشمس من أول ظهورها إلى آخر اليوم هي مشرقة على هذه الشجرة وذلك يؤدي إلى تكامل ثمرتها وإلى جمال أوراقها وبعد ذلك ذلك يؤدي إلى أن الزيت المستخرج من ثمارها سيكون في غاية الصفاء وفي غاية النقاء وفي غاية الإشراق وهذا هو أحد معاني الشجرة المباركة، إنما كانت مباركة لأنها لا شرقية ولا غربية غذائها يصل إليها كاملاً متكاملًا فهي لا عيب فيها وثمارها كاملة، لا شرقية ولا غربية ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ من شدة صفائه ومن شدة نقائه قبل أن يُسَجَّرَ بالنار، يعني كأننا لسنا بحاجة إلى نار كي نُسَجَّرَ النار في هذا الزيت ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا﴾ يكاد من أفعال المقاربة، والذين يعرفون قواعد العربية ولغة العرب يفهمون هذا المضمون أن هناك مجموعة من الأفعال تسمى بأفعال المقاربة، يعني من أفعال المقاربة أوشكت أن تكون، كادت أن تكون، كأنها قريبة من أن تتحقق ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ هو لم يُضِئْ لكن لشدة صفائه، لشدة نقائه كأنه يضيء من دون الحاجة إلى النار، لا يعني أنه هو أضاء من دون النار، هو يحتاج إلى نار كي يضيء ولكن لشدة صفائه، لشدة نقائه، لكماله، كأنه لا يحتاج إلى النار، كأنه، كأنه للتشبيه هذي أفعال مقاربة ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لكنه بعد أن تمسه النار سيتحول ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ نورٌ متأني من النار ونورٌ متأني من الزيت من صفاء هذا الزيت.

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ هذا النور الله سبحانه وتعالى يهدي إليه من يشاء ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ وهذا مثل ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ إذاً هناك صورة أدبية عندنا، صورة جميلة جداً، صورة في غاية البلاغة، في غاية التعبير الأدبي المنمق المدبج الجميل الرصين، صورة لا أستطيع أن أصف جمالها بعباراتي هذه القاصرة وبكلماتي هذه المحدودة وبهذه الألفاظ الضيقة، لكنني أحاول وأحاول أن أقرب المعنى بقدر ما أتمكن، بحدود قدرتي القاصرة، الحديث ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ نور الحقيقة في هذا العالم، نور الإيجاد والوجود، لولا هذا النور لَمَا كُنْتُ أَنَا وَلَمَا كُنْتَ أَنْتَ، الله سبحانه وتعالى يبين لنا مثلاً لهذا النور ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ يعطينا صورةً، مشكاة وهذه المشكاة ماذا فيها؟

﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ هناك مصباح، المصباح في زجاجة ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾

تتوهج، تتوهج، من أين جاء هذا التوهج؟ جاء التوهج بسبب الزيت، هذا الزيت من أين جاء؟ جاء من شجرة مباركة، شجرة كاملة لا نقص لا عيب فيها، عندنا شجرة، المثال من هنا يبدأ، عندنا شجرة مباركة، البداية من هنا، لأن النور من الزيت والزيت من أين جاء؟ جاء من الشجرة، إذأ الصورة هنا، عندنا شجرة هذه الشجرة هكذا وصفتها الآية: شجرة مباركة، جذورها لا نقص فيها، كل الغذاء الموجود في الأرض هذه الجذور ممتدة في باطن الأرض وتقتنص جميع المعادن جميع الأملاح جميع المركبات التي تحتاجها الشجرة في نموها ونمائها وفي ثمارها الذي يُعَصَّرُ منها الزيت، شجرة زيتونة، شجرة الزيتون المباركة والتي هي في مكان تُشرقُ عليها الشمس من أول شروقها حتى تغيب، فتأتي الثمار كاملة ناضجة، يستخرج منها زيت صافٍ، هذا الزيت هو الذي سيكون سبباً في إعطاء هذا الضوء في هذا المصباح، وهناك زجاجة تُجَمَّلُ المصباح، وهناك مشكاة تحصرُ نور المصباح، وهناك نورٌ على نور، هذا النور من أين تأتي؟

تأتي من نور النار التي توهج بها المصباح ومن نور الزيت الذي لشدة صفائه وشدة نقائه كأنه يريد أن يشتعل من دون أن تمسه النار ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ زيتها يضيء يضيء يضيء ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يضيء من دون أن تمسه النار، أي زيتٍ هذا؟! زيت فاطمة، الروايات فسرت هذه الشجرة بفاطمة، هذه الشجرة المباركة فاطمة، وفاطمة من أسمائها المباركة، فاطمة لها أسماء كثيرة، أحد أسمائها المباركة، فاطمة الزهراء، فاطمة الراضية، فاطمة المرضية، فاطمة الزاكية، فاطمة البتول، فاطمة الزهرة، البعض يتصور أن تسمية الزهرة باللهجة الدارجة أبدأً الزهراء من أسمائها فاطمة الزهراء وفاطمة الزهرة، زهرة الوجود، وفاطمة الزهرة زهرة السماء، ففاطمة من أسمائها الزهراء ومن أسمائها الزاهرة ومن أسمائها الزهرة ومن أسمائها الزهرة وأسمائها كثيرة، وإن شاء الله في يوم من الأيام نتحدث عن أسمائها، ومن أسمائها المباركة، هذه الشجرة المباركة هي فاطمة، هذه الشجرة النقية التي امتدت جذورها أين امتدت؟ امتدت جذورها في أرض الوجود في حقيقة الوجود، هذه الشجرة المباركة فاطمة وتلكم الأغصان الطاهرة ذريتها الطاهرة، وتلكم الثمار الطاهرة.

أليس في الروايات عندنا أن هذه الشجرة هي فاطمة وأن هذه الشجرة في أصلها في جذورها في عمقها - أنا وعليّ من شجرة واحدة وسائر الناس من شجرٍ شتى - هذه الشجرة المباركة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، أليس الروايات تقول بأن الثمار أولادها وأن الورق شيعتها هذا الورق الملتف بهذه الشجرة شيعتها، أوراقها شيعتها، وثمارها أولادها، والشجرة فاطمة وأصلها مُحَمَّدٌ وعليّ، الروايات هكذا بينت لنا مضامين وصور أخرى مرسومة لوحات أخرى لهذه الشجرة، وإن شاء الله نتحدث عن هذه الشجرة المُطَهَّرَة، هذه الشجرة المباركة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها، وهذا النور هو نور الولاية، نحن قلنا توحيداً

وولاية، هذا الزيت هو زيت الولاية، فكأن الآية تريد أن تقول إن هذا الزيت لكماله ولفضله كاد أن يكون من دون أن تمسه نار القدرة وهو تعبيرٌ مجازي، كاد أن يكون من دون أن تمسه نار الجبروت، يكاد فعل مقارنة يعني لم يكن كذلك، وإنما التعبير هنا التعبير القرآني تعبير الباري سبحانه وتعالى في كتابه الكريم يريد أن يبين فضل مُحَمَّدٍ آلِ مُحَمَّدٍ، أن هذا الزيت يكاد أن يضيء ولو لم تمسه نار، كأنه يحمل في ذاته قدرة ذاتية، ولكن هذه القدرة الذاتية من أين متأتية؟ هي عطاء الله سبحانه وتعالى لأنهم وجه الله، وجه الله الذي لا يفنى، ووجه الله الذي لا يهلك، فحدود معرفة أهل البيت بين هذين المعنيين بين هذا المعنى الذي أشرت إليه قبل قليل في رواية الإمام الباقر وبين هذا المعنى الذي أشارت إليه هذه الآية المباركة، وبودي أن أتحدث ولا أقف ولكن ماذا نصنع للوقت، ماذا أصنع للوقت؟ بودي أن أتحدث وأتحدث وأتحدث ولا أنهي الحديث حتى تنتهي الحياة ولكن ماذا نصنع لمشاغل الحياة، وماذا نصنع لطبيعة الحياة، فهذه حياتنا وكما قلت قبل قليل إنها فرصة، قطعة من زمنٍ أقتنصه من هذا العمر الذي هدرناه يميناً وشمالاً.

سادتي آل مُحَمَّدٍ منكم أبتدي وإليكم أعود أنتم ملاذي وأملي ورجائي في الدنيا والآخرة وأقول لأحبتني أولياء مُحَمَّدٍ آلِ مُحَمَّدٍ إن كان في هذا الحديث شيءٌ من حُسن فهو وحقٌّ عليّ من حُسنهم، وإن كان فيه شيءٌ من قُبْحٍ وشيءٌ من نقصٍ وشيءٌ من سوءٍ تعبير فهو مني، فما كان من حُسنٍ ومن جمالٍ فهو منهم وما كان من سوءٍ ومن نقصٍ فهو مني، أقول آخر كلمة في هذه الحلقة الكلمات التي تلفظ بها الكميت ومات بعدها وانطفأت حياته، آخر كلمات قالها الكميت بن زيد الأسدي، آخر كلمات ما هي؟ قال:

اللَّهُمَّ آلِ مُحَمَّدٍ آلِ مُحَمَّدٍ آلِ مُحَمَّدٍ

أسألکم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرايون.

مع التحيات

المُتَابَعَة

زهرايون

1433 هـ